مدرسة الآداب

ناجي علوش

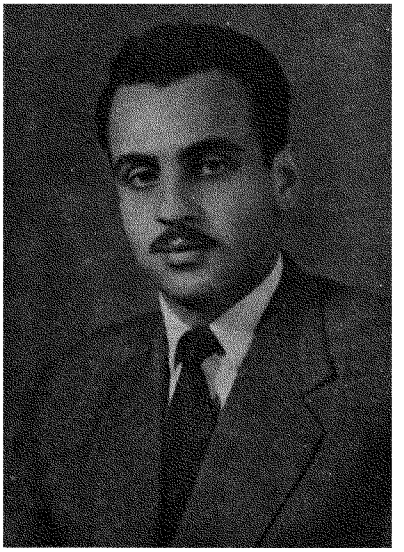

لا اذكر بالضبط متى تعرفت الى مجلة الآداب ؟ وكيف . اني اذكر انني كنت عند صدور الآداب ادرس في الكلية الاهلية بمدينة رام آلله . وكان لنا صندوق نشتري منه الكتب والمجلات ، ومن هذه المجلات مجلة الآداب . وذلك بالطبع بعد صدور الآداب مباشرة . كنا ننتظرها بلهفة ، ونعتبر انفسنا صغارا على الكتابة فيها.

وحدث ذات مرة ان كتبت قصيدة رومانسية ، او هكذا خيل لي ، ليست عندي الآن ، وان كنت اتذكر خاتمتها التي تقول :

فشروق على حطام غروب

وغروب على حطام شروق

واردت ان انشرها . كان ذلك في صيف سنة ١٩٥٣ على الارجح . وفكرت طويلا اين انشرها . ولم يكن حتى ذلك الحين متاحا لي ان انشر في الصحف الاردنية ، ومع ذلك قررت ان ارسلها للآداب .

أعدت كتابتها بخط جميل ، واخذت انتظر من يحملها الى البريد في المدينة . وقرر والدي ان يسافر الى المدينة ، فطلبت منه ان يضعها في البريد . فقبل ذلك راضيا ، مع انني كنت احس انني سأكلفه دفع خمسة قروش ثمنا للطابع الضروري لارسال الرسالة . وهذا المبلغ الزهيد كان يعني شيئا بالنسبة لعائلتنا الفقيرة .

وانتظرت . الآداب تصدر والقصيدة لا تنشر ، وكنت كل مرة أتلهف منتظرا صدور العدد ، والعدد يأتي والقصيدة لا تنشر .. وكنت أظن ان الرسالة لم تصل . وان المخابرات اعتضتها واخذتها .. ومضى الزمن ولم افرح بنشر القصيدة .

ومضت قرابة عام ، اعددت خلاله دراسة عن الشعر في الاردن . وفكرت بنشرها . كنت قد اصبحت في السنة الثانوية الاخيرة على ما اذكر . وقررت ان ارسل الدراسة للاداب . ارسلتها وانا قلق ، تنشر او لا تنشر ، تصل او لا تصل . وجاء عدد الآداب وليس فيه شيء . ثم جاء الآخر ، واذا بعنوان مقالتي ينشر ضمن قائمة المواد التي ستنشر في الاعداد القادمة ..

وفرحت في سري ...

لقد اصبحت من كتاب الآداب . ولكن هل تنشر الآداب مقالات لطلاب لم ينهوا المرحلة الثانوية ؟ والحقيقة انني خفت ان يرسل احد زملائي رسالة الى الدكتور سهيل يخبره فيها اني طالب ، فيلغي نشر المقالة .

ولماذا لا ...؟

لقد حدث معي ذلك في مرة سابقة ، عندما نشرت لي مجلة الاحد في بيت لحم مقالة حول الشعر ، فما كان من احد زملائي الا ان اخبرهم اني طالب في السنة الثانية الثانوية ، واذا بهم يلغون نشر القسم الثاني منها .

هل سيحدث ذلك مرة اخرى ؟ ربما . الآداب تصدر ، وفي كل عدد يأتي عنوان مقالتي بين المواد التي

ستنشر في العدد القادم . وانا اسأل هل ستنشر ؟

ومرة كنت خارجا من الصف ، عائدا الى موقف الباصات التي تنقلنا الى القرية . فخرج معنا استاذ اللغة العربية عيسى بلاطه . وتحدثنا انا وزملائي ، ونحن نسير معه . ولا ادري كيف انتقل الى الحديث عن مقالي . قال لي : سيكون لك مستقبل ، لان الآداب لا تنشر مقالا اذا لم يتوفر فيه حد يسمح بنشره .

ونشر المقال ...

لم اكن قد تخرجت من الثانوية بعد .

ولقد نشرت لي الآداب في هذه الفترة ايضا قصيدة اخرى حول ثورة الجزائر ...

ثم اتصلت علاقتي بالآداب .. وخاصة بعد ان انتقلت الى الكويت في نيسان سنة ١٩٥٦ .

لقد كنا ننتظر الاعداد بلهفة . وكنا نقرأ الشعر ، كما نقرأ الدراسات السياسية والادبية . وعلى صفحات الآداب لمعت اسماء بدر شاكر السياب وصلاح عبدالصبور واحمد عبدالمعطي حجازي وغيرهم وغيرهم . كانت الآداب منبرا قوميا ، وكانت الى جانب ذلك مدرسة نشأت اجيالا من الادباء ، شعراء وكتاب قصة . وكنا نحس انها تخوض معركة الجديد ضد القديم البالي ، ومعركة الوحدة والتحرر ضد التجزئة والتخلف . ولذلك حرصت انا على المشاركة في المعارك التي خيضت على صفحاتها ، سواء كانت ادبية او سياسية .

وحين زرت دمشق في صيف سنة ١٩٥٧ لاول مرة ، قررت أن ازور بيروت . ذهبت مع صديق لي ، وصلنا قرابة الحادية عشرة ، وكان اول من سألنا عليه سهيل ادريس صاحب مجلة الاداب ..

وسرنا في الخندق الغميق صعودا ، نسأل ونسير حتى وصلنا . قرعنا الباب ففتح لنا ، واستقبلنا الدكتور سهيل ادريس . عرفته بنفسي وبصديقي فرحب بنا . واخذنا نتحدث في امور شتى . وحين انهينا الزيارة قررت ان اعود الى دمشق ، وصاحبي يحاول اقناعي بالبقاء في بيروت ولو ليلة واحدة .. غير اني لم اقتنع ، ورجعنا .

ومنذ ذلك الحين توطدت العلاقة مع مجلة الآداب ، كان ذلك منذ عشرين عاما على وجه التقريب .

في « ١ كانون الثاني » من عام ١٩٥٣ ، صدر العدد الاول من مجلة الآداب ، مزينا بغلاف يحمل صورة الشاعر الرقيق الراحل علي محمود طه ، ثم تلته الاعداد الاخرى تحمل صور كبار الكتاب والشعراء والفنانين امثال : ايليا ابي ماضي ، والياس ابي شبكة ونسيب عريضة ، وعمر فاخوري ، وفان غوغ ، ولويجي بيراندللو .. وغيرهم ممن اسهموا اسهامات رائعة في خدمة الثقافة والفكر ، مع دراسات ضافية عنهم .

في العدد الاول ، طالعنا الدكتور سهيل ادريس رئيس التحرير بافتتاحية ، تحت عنوان « رسالة الآداب » استغرقت صفحتين اثنتين لخص فيهما صورة مستقبلية لمسيرة ربع قرن من عمر المجلة ، واستشرف بثقة عالية ، نهج الآداب ، ورسالتها في خدمة الفكر العربي الحديث .

يقول الدكتور ادريس في الفقرة الاخيرة من الافتتاحية :

« .. بهذا كله سيتاح للاداب ان تكون مرجعا مهما من مراجع الادب العربي الحديث ، يستشيره كل من رغب في الاطلاع على النشاط الفكري العربي ، ولا سيما المستشرقون الذين لا تنقطع شكواهم من فقدان المراجع التي تمكنهم من دراسة الادب العربي المعاصر .. بتلك الرسالة وبهذا النهج ، تتقدم الاداب الى قرائها ، آملة ان تجد عندهم التشجيع الذي يمكنها من متابعة حمل رسالتها ، وتحقيق منهجها » .

بهذه « النهاية ـ البداية » ختم رئيس التحرير كلمته .. ومط البعض شفاههم في وقتها ، ونظرت وجوه في وجوه .. ثم انتهت مسيرة الالف ميل ، وجاء الرائد يسعى ،